

نوتة من علم الكونكا

[37]

مجدي الجزولي



«أعرفي مقام نفسك براك
ما تسالي الزول المعاك

...

تباشي كلبية مية
كلية مية، كلية مية
جنوبيين نار الضِّلَع
علي تباشي في الكُونِكا
انت ساكن الكُونِكا
انت ساكن الكُونِكا
انت ساكن الكُونِكا
انت ساكن الكُونِكا
بس!

حميدتي نار الضِّلَع!
الساكن جيرة نار الضِّلَع!
في المخدَّة».

من أغنية «نار الضِّلَع» للفنانة مروة الدولية.

ومُمارسة حرجة في تنظيم وتدوير وتوزيع
الأجساد الحية والجنث، الأحياء والشهداء
والجرحى والمفقودين والمختفين قسراً،
كما في التبويب الساري، وكذلك المفاهيم
والصور، ففيها تلتقي العناصر المادية وغير
المادية والجسمانية تحت قبض القوة.

لذلك زكّي الدكتور ميمبي مفهوم
«الوحشية» من المعمار، للتعبير عن تدبير
سياسي لتنظيم العالم والجسوم والمفاهيم
والصور، قانونه الأول، كما في المعمار،
امتيازُ المُعامل الرأسي، الترتاب، على سواه.
وقال الدكتور ميمبي إن هذه «الوحشية»
هي صيغة السياسة المعاصرة، السياسة التي
تُخضع الكوكب كله لعمليات «عبثية» من
الهدم والتدمير، إنتاج الظلام، ومعه أجناس
من الفئاض والكُرُور، بشري وغير بشري،
كُرُور كالذي يجتمع في موقع بناء مستدام.
وما الخطوم المهْدَمَة بالحرب والشفشفة،
والفاشر الصامته بالقتل الجماعي، وغزة التي
هدمتها الآلة الحربية الصهيونية على أجساد
أهلها العارية، سوى من قبيل السترة والصبر
في هذا التقدير، فضلاً عن كونها جغرافيا
لهذا الركام، «كونكا» طائفة، كما الطوفان
القرآني.

وقال الدكتور ميمبي، تعمل ثلاث
مفاعلات لإنتاج هذه «الكونكا» الكوكبية.
المفاعل الأول: الحساب الرقمي وتقنياته
الجديدة التي تُتيح لمُسَيِّرة أن تقوم من خلاء
في جهة نيالا البحير لتطلق نيرانها بدقّة ملك

جرت
العادة الفكرية أن تقبل القارئ
لتبويب «السياسة» ما تقبله
السياسة على نفسها من أصناف أيديولوجية،
فهي في «شارع المين» إسلامية وديمقراطية
وليبرالية، مركز وهامش، وهلمَجْرا. أما الدكتور
ميمبي فقد جاء من حَرثه الذكي بتبويب
للسياسة من «المعمار»، وقال إن في المعمار
خصلةً سياسيةً، فهو سياسة المواد، ساكنة
وغير ساكنة، «المادة التي لا تفنى ولا
تُستحدثت» في تقريب رائع، فَرَزَ لمكوّنات
البناء وترتيب لديالكتيك الهدْم والإنشاء.
والسياسة كذلك قبضٌ للعناصر من كُلِّ
صنف، حيّة وميثة، وسعيٌّ لإخضاعها لهيئة
ما، بما في ذلك قسراً، «مشروع حضاري»،

إذا صحَّ التعبير، أي لا ثقافة، هي حساب محض، فلا يشغلها في قليل أو كثير أن ما بين الناس والجغرافيا عهد ووشائج ومواثيق، كعهد التَّربال مع أرضه، أو كالوشيجة التي يصبح بها النَّيل سليل الفراديس، أو الميثاق الذي يتحوَّل به سكَانُ أتبرا من كَيْل «الشُّراد»، كَبَّتْهُمُ المقادير في مرجل العمل المأجور، إلى أهل وأحاب. وشُغل «الوحشية» كسياسةٍ هو الشَّقُّ والانشطار، نَزَعُ هذه الجلود التي يصير بها البشرُ ناساً، وقد ألهمتهم خطيئة ابن آدم، قايل، الذي قَتَلَ أخاه هايل بغيًّا وعدواناً، تقوَّى الاجتماع.

قال تعالى: «اتُّلَّ عليهم نبأً ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (قرآن كريم، المائدة: 27). «قال السدِّي - في ما ذكر - عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود - وعن ناسٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان لا يُؤَدُّ لآدم مولوداً إلا وُلِدَ معه جارية، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جاريةً هذا البطن الآخر، ويزوّج جاريةً هذا البطن غلامَ هذا البطن الآخر، حتى وُلِدَ له ابنان يقال لهما: قايل وهايل. وكان قايل صاحب زرع، وكان هايل صاحب ضرع، وكان قايل أكبرهما، وكان له أختٌ أحسن من أخت هايل، وإن هايل طلب أن ينكح أخت قايل فأبى عليه وقال: هي أختي، وُلِدَتْ معي، وهي أحسن من أختك،

الموت على مستشفى في جهة جبل أولياء، تمسح عيونها الإلكترونية الأرض مسحاً، وتُحلَق في الشجر والحجر والبشر حتى تبلُغ مبتغاها. وترتبط هذه الأعين الإلكترونية بدماع كونيٍّ من الألياف الضوئية الصامته خلا من زَنَّةٍ، كأنها الهَمُّ. والمفاعل الثاني: الاقتصاد السياسي الذي صار، بتحرُّره من كلِّ ذائقة لمصير جماعة البشر، حسَّ «الاشتراكية» ذاك، خوارزميات عصبية/ إحيائية للبقاء والاستهلاك لا تستثني في قسرها لثغة طفل أو خاطرة شعر أو بهرة جمال، غَصِبَ كي. والمفاعل الثالث: حساب كتلة «الكربون» في الأجساد الحيّة التي صارت بطلاق «الروح» البشري في دين **كلوتيلده** مادة هدم وبناء عضوية وبس، تقيّمها في ما تحتاج من سُعرات حرارية للتشغيل، 3 ملايين نازح، يعني ملوّة عيش لكل واحد في الأسبوع، يعني كم شوال في الأسبوع، يعني كم طن في الشهر، يا مؤتمر برلين؟ ولا ما بتخارج؟ أقول ليكم حاجة: يفتح الله!

عقدة «الوحشية» في السياسة، كما في المعمار، هي تحوُّل الإدارة السياسية إلى قوة وظيفية صرفة تعيد تكوين الجغرافيا، طبيعية وبشرية. الخرائط تلك، من كتاب الجغرافيا الطبيعية، خضراء تكشف المرتفعات والأنهار والبحيرات والغابات؛ والبشرية غبشاء ترسم خطوط النقل ومواقع الصناعة والموانئ والمراكز الحضرية. وعين السياسة «الوحشية» المُسلّطة على هذه الخرائط كعين المُسيِّرة، لا لغة لها

وأنا أحقُّ أن أتزوَّج بها. فأمره أبوه أن يزوّجها هاييل فأبى، وأنهما قرّبا قرباناً إلى الله عز وجل أيُّهما أحقُّ بالجرارية، وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما، أتى مكة ينظر إليها، قال الله عز وجل: هل تعلم أنّ لي بيتاً في الأرض؟ قال: اللهم لا. قال: إنّ لي بيتاً في مكة فاتيه. فقال آدم للسماء: احفظي ولديّ بالأمانة، فأبّت. وقال للأرض: فأبّت. وقال للجبال: فأبّت. فقال لقابيل فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك. فلما انطلق آدم قرّبا قرباناً، وكان قابيل يفخر عليه، فقال: أنا أحقُّ بها منك، هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصيُّ والديّ. فلما قرّبا، قرّب هاييل جذعة سمّنة، وقرّب قابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبله عظيمة، ففركها فأكلها. فنزلت النار فأكلت قربان هاييل وتركت قربان قابيل فغضب، وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي. فقال هاييل: إنما يتقبّل الله من المتّقين. رواه ابن جرير».

وروى ابن كثير عن بعض أهل الكتاب أنّه قتله خنقاً وعصاً كما تقتل السباع، وقال ابن جرير: لما أراد أن يقتله جعل يلوي عنقه، فأخذ إبليس دابةً ووضع رأسها على حجر، ثم أخذ حجراً آخر فضرب به رأسها حتى قتلها، وابن آدم ينظر، ففعل بأخيه مثل ذلك. وفصّل ابن كثير فيها تفصيلاً كثيراً. «وقال عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: أخذ برأسه ليقتله، فاضطجع له، وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدرى كيف

يقتله، فجاءه إبليس فقال: أتريد أن تقتله؟ قال: نعم. قال: فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه. قال: فأخذها، فألقاها عليه، فشدخ رأسه. ثم جاء إبليس إلى حواء مُسرِعاً، فقال: يا حواء، إنّ قابيل قتل هاييل. فقالت له: ويحك. أيّ شيء يكون القتل؟ قال: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرّك. قالت: ذلك الموت. قال: فهو الموت. فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح، فقال: مالك؟ فلم تكلمه، فرجع إليها مرتين، فلم تكلمه. فقال: عليك الصيحة وعلى بناتك، أنا وبنيّ منها بُراء. رواه ابن أبي حاتم» (ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، م 3، دار طيبة، الرياض، 1999، ص 82-88).

وللقارئة أن تتأمّل في كثافة الحواجز القائمة بين نيّة القاتل وفعله؛ حواجز تهدمها التكنولوجيا الصناعية بضغط الرنّاد، ثمّ التكنولوجيا الرقمية بكبسة زر أو لمس شاشة أو مسحة كود من ستر قصيٍّ فيمطر اللظى على تلميذات مدرسة «الشجرة الطيبة» في ميناب الإيرانية أول نهار 28 فبراير الماضي، ذبهن أنّ المدرسة لمؤسسة غير ربحية تقدّم خدمات التعليم لذرية منتسبي القوة البحرية للحرس الثوري، فما الإرهاب؟

شيع أهلهن 165 منهن، جنازةً تلو الأخرى، ما بين عمر السابعة والثانية عشرة، وأصيبت 96 أخريات، ذلك من جملة 264 تلميذة في المدرسة، من بينهن: هناء دهقاني (8 سنوات)، رضا حباشيان (7 سنوات)، أريا

محمد علي كرياني باك (7 سنوات)، برس
مختاري-نجد (12 سنة)، أرينا عرب-كيش
(8 سنوات)، ماكان نصيري (12 سنة)، إسرا
فرحي زاده، فتاة صغيرة).

يا لها من قائمة مملّة، تصعب كتابتها
وتصعب قراءتها! فربّما فَطَّتها القارئة واكتفت
باسم أو اسمين صَدَّتْها العجمة وربما أرهقت
المُحرِّرة أيضاً فقالت ما الداعي لها. فالموتى
مُملون. قالت جريدة نيويورك تايمز (عدد 5
مارس) تنطق بما اجتمع لديها من الأدلة أنّ
المدرسة أصابها قذائف دقيقة التصويب،
كما أصابت موقعاً عسكرياً للحرس الثوري
بالقرب منها. جاءت التايمز بقرينة أنّ موقع
المدرسة كان حتى العام 2013 جزءاً من
قاعدة بحرية للحرس الثوري. اعتمدت
الاستخبارات العسكرية الأمريكية، أو عقلها
الإلكتروني أبو ذكاء صناعي، على ما اجتمع
عندها من معلومات لتحديد الأهداف
وتصويب الأسلحة، وأتوماتيك. هذا، وقد
أظهرت صوراً للأقمار الصناعية؛ عيون
الاستخبارات العسكرية المعلقة في الفضاء،
أنّ الطرف الذي تقع فيه المدرسة من هذا
الموقع العسكري انفصل عنه منذ العام
2016، كما يظهر من الفضاء القصبيّ ملعب
للكرة وفسحة لهو، بحيث يدرك كلّ منصف
أنّ الموقع صار مدرسة وليس منصّة لإطلاق
الصواريخ، لكنّ سبق سيفُ الخوارزميات
عَدَلَ اللهو واللثغ الطفولي، «فادخلي في
عبادي وادخلي جنّتي».

باهادوري (9 سنوات)، على أسغار زائري (8
سنوات)، زهرة بهرامي (7 سنوات)، أحمد
سلطاني (8 سنوات)، حامد بار-أشبخ-نجد
(7 سنوات)، فاطمة يزدان، مهدي نازاري (8
سنوات)، أثينا شاماني-نجد (6 سنوات)، أمير
غاشم زائري (7 سنوات)، فاطمة دورزيهي
(10 سنوات)، آراد أحمد زيادة (8 سنوات)،
سامان كريمزاده (7 سنوات)، فاطمة شهدي
(-)، نادية شاهميري (9 سنوات)، بارهم
رانجباري (9 سنوات)، فاطمة رضدار (10
سنوات)، أمير حسن رسولي (8 سنوات)،
زهرة برهومي (8 سنوات)، محمد حاتم
رايسي (10 سنوات)، أسنارايسي (12 سنة)،
محمد سدرا زاري (8 سنوات)، مريم بازارك
(10 سنوات)، لينا محمدي (7 سنوات)،
سارة شايسته (5 سنوات)، زهرة باند (8
سنوات)، إسرا زاكري (9 سنوات)، فاطمة
زهرة أنصاري (7 سنوات)، فاطمة فادافي
(10 سنوات)، مهنا زاري (شهان)، أثاره زاري
(10 سنوات)، علي رضا زاري (9 سنوات)،
محمد رضا شاه سفاري (10 سنوات)،
إحسان سليمانيا (6 سنوات)، فاطمة زهرة
كريمي (7 سنوات)، زينب بهرومي (10
سنوات)، محمد شادوستي (8 سنوات)،
رضا باراني (7 سنوات)، أثينا أحمدزاده (10
سنوات)، خديجة درويشي (9 سنوات)،
رضا رانجبار (6 سنوات)، محمد مهدي
شيغيني (10 سنوات)، علي أكبر كرياني
باك (8 سنوات)، حنان مهدخا (7 سنوات)،

يا بنات ميناب: «سَبَقَ السيفُ العَدْلَ»،
وقاله ضَبَّةُ بن أدِّ لَمَّا لامَهُ الناس على قتله قاتل
ابنه في الحرم. وجاء في «مجمع الأمثال»
لأبي الفضل الميداني (م 1، دار المعرفة،
بيروت، 2004، ص 197-198): «وكان له ابنان
يُقال لأحدهما سَعْدٌ وللآخر سعيد، فنقرت
إبلٌ لَضَبَّةٍ تحت الليل، فَوَجَّهَ ابنه في طَلَبِها،
فتفرَّقا فوجَدَها سَعْدٌ، فردَّها، ومضى سعيد
في طلبها فلقىه الحارث بن كعب، وكان
على الغلام بُرْدانٍ فسأله الحارث إِيَّاهما، فأبى
عليه، فقتله وأخذ بُرْدَيْه، فكان ضَبَّةٌ إذا أمسى
فراى تحت الليل سَواداً قال: أسعد أم سعيد؟
فذهب قوله مثلاً يُضرب في النجاح والخيبة،
فمكث ضَبَّةٌ بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم
إنه حجَّ فوافى عُكاظ فلقي بها الحارث بن

كعب ورأى عليه بُرْدَيْ ابنه سعيد، فعرفهما،
فقال له: هل أنت مُخْبِرِي ما هذان اليردان
الذنان عليك؟ قال: بلى لقيتُ غلاماً وهما
عليه فسألته إِيَّاهما فأبى عليّ فقتلته وأخذتُ
بُرْدَيْه هذين، فقال ضَبَّةٌ: بسيفك هذا؟ قال:
نعم، فقال: فأعطينيه أنظر إليه فإني أظنُّه
صارماً، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذه
من يده هَزَّه، وقال: الحديثُ ذو شجون،
ثم ضربَه به حتى قتله، فقبل له: يا ضَبَّةُ أفي
الشهر الحرام؟ فقال: سَبَقَ السيفُ العَدْلَ!
فهل بَلَّغنا، بذكاء الاستخبارات العسكرية
الأمريكية الصناعي، أفضل من بَغِي قاييل،
أم أبعد من ظنِّ ضَبَّةٍ، أم هي «الوحشية» التي
قال بها الدكتور ميمبي؟
يتبع...



السودان ومحيطه

مجلة تصدر أسبوعياً عن
مركز سودان فاكس للصحافة



نعمل على السودان
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً

على البريد الإلكتروني،
الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:
atar@sudanfacts.org

على WhatsApp أو Signal،
الرجاء إرسال رسالة تحوي كلمة «أتر» أو «Atar» في التطبيق على الرقم:
+254743560204

للانضمام إلى شبكة مراسلي أتر في السودان الرجاء مراسلتنا على:
atar@sudanfacts.org

لزيرة موقعنا الإلكتروني:

www.atarnetwork.com

 [@atarnetwork](https://www.instagram.com/atarnetwork)